القول الرشيد

في حقيقة التوحيد

تأليف

سليمان بن ناصر العلوان

دار المنار

القول الرشيد

في حقيقة التوحيد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ـ ١٤١٣هـ

تُطلب جميع منشورات دار المنار من الإدارة

الرياض: ١١٤٤٨ ص.ب: ٣٣٢١٢ هاتف: ٤٢٥١٢٩٨

الخرج: ١١٩٤٢ ص.ب: ١٢٨١ هاتف: ٥٤٤١٩٧٣

جدة حي الجامعة ـ هاتف: ٦٨٠١٧٤٢

بخصم من: ٣٠ ـ ٣٥٪ ـ وبخصم خاص ٤٠٪ للجمعيات الخيرية.

دار المنار للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القَوْلُ الرَّشِيدُ

فِي حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ

تأليف

سُليمان بن ناصِر العلوَان

دار المنار للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد

فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا ما أَرسل الرسل، ولا أَنزل الكتب إلا ليُعبد وحده لا شريك له، ويُفرد بجميع أَنواع العبادة، من: خوف، ورجاء، وتوكُّل، ورغبة، ورهبة، وخشية، وإنابة، ونحو ذلك من أَنواع العبادات التي أَمر الله بها عباده، وفرضها عليهم.

قال تعالى

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى

﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآية. [البينة: ٥].

وحقيقة الإخلاص إفراد الله بالعبادة وتصفية الأَعمال من الشوائب المكدرة لها.

وقال تعالى

﴿آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١ ـ ٢].

والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يُبين التوحيد ويوضحه، فلا تمر بآية من كتاب الله إلاَّ وفيها ما يدل على التوحيد، فهو: أَوجب الواجبات، وأَهم المهمات، ومن ثَمَّ كان أَول أَمر في كتاب الله: الأَمر بالتوحيد.

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وأَول نهي في كتاب الله: النهي عن الشِّركِ.

قال تعالى

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ولو لقى اللهَ العبدُ بأَعمالِ أَمثال الجبال، من: صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وصدقة، وليس معه توحيد لما قبله اللهُ منه، ولَجَعَلَ أَعمالَهُ هباءً منثوراً؛ لأَنه لم يأْت بما يَدْخلُ به في الإِسلام. ويخلص به من الشرك.

وقد أُمر النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ بأَن يقاتلَ الناس حتى يشهدوا أَن لا إِله إلا الله، وأَن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، كما جاء

ذلك عنه في «الصحيحين» وغيرهما من حديث واقد بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر عن أَبيه عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

فمن دُعي للدخول في الإِسلام ولم يستجب لداعي الله فقتاله أَمرٌ واجب إِلا أَن يعطي الجزية حتى لا يبقى مشرك على ظهر الأَرض له سلطان، ويكون الدين كله لله.

قال تعالى

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. أَي: شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

فما دام الشرك موجوداً وغيرُ الله يُعبد فالقتال باق، وعلى هذا قامت دعوة سيد المرسلين، المبعوث لمحقِ الشِّرك، وقمع المشركين، ونشر راية التوحيد، الذي هو: إِفراد الله بالعبادة دون تنديد به.

وفي «صحيح مسلم» من طريق عكرمة بن عمَّار، حدثنا: شداد ابن عبد الله، ويحيى بن أَبي كثير عن أَبي أُمامة قال: قال عمرو بن عبسة السُّلمي: كنت وأَنا في الجاهلية أَظنُّ أَن الناسَ على ضلالة وأَنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأَوثان، فسمعتُ برجلٍ بمكةَ يخبرُ أَخباراً فقعدتُ على راحلتي فقدمتُ عليه فإِذا رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ مستخفياً جرآءُ عليه قومُهُ، فتلطَّفتُ حتى دخلت عليه بمكة فقلت

له: ما أَنت؟ قال: أَنا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال: أَرسلني الله. فقلتُ: وبأَيِّ شيءٍ أَرسلَك؟ قال: أَرسلني بصلة الأَرحام، وكسر الأَوثان، وأَن يُوحَّد اللهُ لا يُشركُ به شيء». وعلى هذا أُسست دعوةُ المرسلين.

والناصح لنفسه يتدبر هذا الحديث، ويبني قواعد دعوته عليه، ولا يظنه في قومٍ كانوا فبانوا، فطالما عطل هذا الظن نصوصاً من الواضحات المحكمات، وأَوقع في فخ الجهالات، وصدَّ عن معرفة العبر المذكورات في الآيات والبراهين المحكمات.

فقوله: «وأَن يوحد الله» وذلك يكون بصرف جميع أَنواع العبادات لله وإِخلاصها له.

وقوله: «لا يشرك به شيء» يقتضي منع دعوة غيره معه؛ لأَن الشرك يفسد العبادة ويحبط العمل، وسواء أَشرك مع الله نبياً أَو ملكاً أَو ولياً أَو وثناً أَو قبراً أَو غير ذلك.

قال تعالى

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وجميع الرسل من أَوَّلهم نوح إِلى آخرهم محمد ـ ﷺ ـ يفتتحون دعوتهم لقومهم بـ «اعبدوا الله ما لكم من إِله غيره».

قال تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ

. ﴾ الآية [نوح: ٢-٣].

والعبادة تتضمن جميع ما يأمر اللهُ به من: الأقوال، والأفعال.
وأعظم شيءٍ أمر اللهُ به: إفراده بالعبادة دون ما سواه.

ولا يستكبر عن هذه العبادة إلا جاحد معطِّل مستكبر كـ «فرعون» وأمثاله من الجاحدين المعطِّلين، القائلين على الله ما لا يعلمون.

ولا ينجو العبدُ من شبكة الشِّرك إلا بتوحيد الله تعالى، ومتابعة رسوله -ﷺ-. فإن هذين الأصلين عليهما النعيم والعذاب.

وقال تعالى

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ . ﴾ الآية [الأعراف: ٧٢].

وقال تعالى

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، [هود: ٨٤].

وقال تعالى

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلْشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٤١ـ٤٥].

وكل من اتبع غير سبيل الرحمن فقد استحوذ عليه الشيطان، وصار وليّاً له: يؤزه أزّاً نحو الكفر، وعبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن عابديها شيئاً.

وقال تعالى

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُواْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللاَّعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَاْ عَلَى ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ الآيات [الأنبياء: ٥١ ـ ٥٦].

وفي «مسند الإمام أحمد» بسندٍ حسن (٢/ ٥٠)، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«بُعثتُ بالسيف حتى يُعبد اللهُ لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أَمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

فجميع المرسلين بُعثوا بالأَمر بعبادة الله وحده، والنهي عن الشرك.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوت﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلا أَنَا فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولا إِلٰه إِلا الله: كلمة التوحيد المنجية من عذاب رب العبيد، وهي مفتاح دعوة الرسل، ومفتاح الجنة، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال، وهي الفارقة بين المسلمين والكافرين، وهي الكلمة التي جعلها إِبراهيمُ الخليل في عقبه إِلى يوم الدين.

وفي «مسند الإِمام أَحمد» بسندٍ صحيح (٤/ ٦٣)، من طريق شيبان عن أَشعث بن أَبي الشعثاء، قال: حدثني شيخ من بني مالك ابن كنانة، قال: رأَيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أَيها الناس قولوا لا إِلٰه إِلا الله تفلحوا».

فعلق النَّبيُّ ـ ﷺ ـ الفلاح بقول «لا إله إلا الله» أي: مع العمل بمقتضاها وما دلَّت عليه من: النفي والإثبات. فـ «لا إله» تنفي جميع ما يعبد من دون الله، و «إلا الله» تفردُ الله وحده بالعبادة، وكما أنه متفرد في ملكه وتدبيره يجب أن يفرد بالعبودية، من: خوفٍ، ورجاءٍ، ومحبةٍ، وخضوعٍ، ونحو ذلك من العبادات التي أمر الله بها فلا تعبد غير الله: ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وأفردْ رباً صمداً حياً قيوماً في جميع عباداتك.

قال تعالى

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤ ـ ١٩٥].

وقد خالف عبَّاد القبور من أهل هذا الزمان وقبله ما دلَّت عليه هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وصرفوا جُلَّ العبادات للأموات وغيرهم: ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً فضلاً عن عابده

وداعيه. وتراهم يناضلون عن معبوداتهم من دون الله، والويل ثم الويل لمن نهاهم عن عبادتهم غير الله. وتراهم يخلصون العبادة رخاءً وشدةً لأَوثانهم ومعبوداتهم، ويسأَلونهم: كشف الكروب والخطوب، وقضاء الحاجات، وكشف الملمَّات، فجاؤوا بالشرك الصريح، وجعلوا ما أَمر الله به من التوحيد هو الشرك، وما نهى عنه من الشرك هو التوحيد.

وهذا حال عبَّاد القبور اليوم عند البدوي والجيلاني وغيرهما فقد هدموا التوحيد، وأَتوا بالشرك الصريح من دعائهم غير الله، وصرفهم خالص حق الله لهم فترى الرجال والنساء رُكَّعاً سُجَّداً عند قبورهم يبكون.

فنسأَل الله أَن يهدينا ولا يزيغ قلوبنا بعد إِذ هدانا، فإِن هذا هو الشرك الصريح الجلي: الذي لا يغفره الله إِلا بالتوبة.

□ □ □

« فصل »

التوحيد أَساس الدين، وهو أَول شيءٍ فرضه الله على عباده، وهو أَسنىٰ المطالب، وبالتوحيد تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، ويتميز أَولياء الرحمن من أَولياء الشيطان. وعلى حسب كمال توحيد العبد: تكون ولاية الله له. فإِن الناس يتفاوتون في التوحيد وتحقيقه.

وحرص السلف على تحقيق التوحيد، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي أَمر مستفيض عند العلماء وطلبة العلم.

ولا يوجد تحقيق التوحيد إلا في أَهل الصدق والإِيمان.

وأَكملُ الخلق توحيداً وتحقيقاً له: الأَنبياء والمرسلون، فإِنهم قد حققوه بفعل الأَوامر، وترك النواهي: من الشرك والبدع والمعاصي.

ومن ادعى أَنهم لم يحققوا توحيدهم، أَي: لم يخلصوه من الشرك والبدع والمعاصي؛ فقد خلع الإِسلام من عنقه، وارتدى لباس الكفر والنفاق؛ لأَن دعوة الرسل قائمة على: هدم الشرك، وإِبطال البدع. فرميهم بعدم معرفة التوحيد، أَو بعدم تحقيقه: كفرٌ لتكذيبه القرآن المصرح بأَنهم بُعثوا لقمع الشرك وللدعوة إِلى التوحيد. فكيف يَدْعون إِلى التوحيد وهم لا يعرفونه؟ هذا من أَعظم التنقص لهم.

فالله المستعان.

واعلم: أَنه بحسب توحيد العبد، وكمال تحقيقه: يكون انشراح صدره. فإن التوحيد أَعظم الأَسباب الجالبة لانشراح الصدر واتساعه، فإنه كلما قوي توحيد العبد؛ زاد انشراح صدره. وبنقصه ينقص.

وأَما الشرك فهو أَعظم الأَسباب الجالبة لضيق الصدر وحرجه؛ لأَن المشرك عدل بالله غيره، وتنقص ربه ومعبوده أَعظم التنقص، إذ سوى به غيره: ممن لا يملك جلب نفع لنفسه فضلاً عن غيره، ولا يستطيع دفع ضرٍّ عن نفسه، فكيف يدفعه عن غيره؟!

وكلما بعد النَّاس عن عهدِ النُّبوةِ كثر الجهل فيهم.

والشرُّ كله عائدٌ إلى الجهل بالله وبعظمته، فإذا كثر الجهل وعمّ؛ كثر الإشراك بالله، وكثرت البدع والمنكرات، والأُمور المكفرات لبعدهم وإعراضهم عن تعلم الدين.

وفي «الصحيحين» وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسئلوا فأَفتوا بغير علم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا».

فذهاب العلماء العاملين من أَسباب ظهور الجهل وضلال العباد. وأَما العلماء الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة فوجودهم من

أَسباب الفساد في الأَرض، وكثيرٌ ما هم.

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ . ﴾ الآية [براءة: ٣٤].

فهذه الآية فيها خبر من الله تعالى بأَنَّ كثيراً من الأَحبار: وهم العلماء والرهبان، وهم العبّاد ليأْكلون أَموال الناس بالباطل بتساهلهم في التحليل والتحريم طلباً للعاجل، فيحملون النصوص ما لا تحتمل إرضاءً للرؤساء والزعماء، ومحافظة على مناصبهم ورياستهم وهم مع ذلك يصدون عن سبيل الله، ويلبسون الحق بالباطل، وهذا حال علماء السوء، وهذه صفتهم.

وكثير ممن يعبد غير الله، ويركع، ويسجد، وينحر، وينذر، ويصرف معظم العبادات لغير الله من الأَموات وغيرهم؛ يحصل له هذا الشرك بسبب علماء السوء الفجار الذين يأْكلون أَموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، فجعلوا الفتيا الفاجرة المبنية على الجهل الصرف، والمراغمة والمحادة لله ولرسوله ـ ﷺ ـ. سلماً لنيل شهواتهم.

وفي هؤلاء وأَمثالهم من علماء السوء يقول الرب جلَّ وعلا:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوه أَلَمْ يُؤْخَذْ

عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فهذه الآية فيها بعض صفات علماء السوء، ولا ينبئك مثل خبير.

فيجب الحذر منهم؛ لأنهم لا همَّة لهم في القيام بأُمور الدين والنهي عن ما يضاد أَصل الدين، وضلال كثير من العوام الذين لا معرفة لهم بمدارك الأَحكام على أَيديهم فهم قاعدون على كل صراط مستقيم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

□ □ □

«فصل»

التوحيد ثلاثة أنواع

١ ـ توحيد الربوبية.

٢ ـ وتوحيد الإلهية.

٣ ـ وتوحيد الأسماء والصفات.

* * *

فتوحيد الربوبية: هو الإقرار والاعتراف بأن الله هو: الخالق، الرازق، المدبر. وهذا التوحيد أقرَّ به مشركو العرب، ولم يدخلهم في الإسلام.

قال تعالى

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ قُلْ ٱلْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالى

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

والإقرار بوجود الله والاعتراف بأنه الخالق الرازق المدبر لا يكفي

في دخول العبد في الإسلام. فإن كثيراً من المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام لعدم إذعانهم لتوحيد العبادة، وقاتلهم النَّبِيُّ -ﷺ-، واستحل دماءَهم وأَموالهم. وكثير من الناس يظن أَن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي أُرسلت به الرسل، وأَنهم إذا أَثبتوه لله فقد وحدوا الله حق التوحيد. وهذا خطأ ظاهر، ولذلك يعبدون غير الله، ومع ذلك يزعمون أَن فعلهم ليس بشرك إنما الشرك إذا جَعَلْتَ خالقاً مدبراً مع الله. وهذا الجهل بالتوحيد أَرداهم وجعلهم يشركون بالله شركاً جلياً.

ومعلوم قطعاً أَن الخصومة بين الرسل وقومهم ليست في توحيد الربوبية لأَنهم كانوا مقرين به إنما هي في توحيد الإِلٰهية: وهو النوع الثاني من أَنواع التوحيد.

وهو: إفراد الله بالعبادة فلا يُشرك مع الله أَحد. ومن عرف التوحيد الذي أُرسلت به الرسل، وأُنزلت من أَجله الكتب: عرف ما عليه الكثير من إضاعتهم له، وإهمالهم جانبه، وجهل الكثير بحقوقه.

وقد يظنّ بعضُ الناس أَنه إذا لم يعبد صنماً ولم يسجد لغير الله فهو موحِّد مهتدي وإن عمل ما عمل، وهذا جهل اصطاد به الشيطان كثيراً من العباد، فأَوقعهم بالمكفرات من حيث لا يشعرون.

فإن التوحيد ليس التخلي فحسب عن عبادة غير الله من الأَصنام والأَوثان، بل لابد من التخلي عن جميع العبادات التي يراد بها غير

الله والبراءة منها ومن أَهلها، وإِخلاص جميع العبادات لله.

فإِن العبد مأْمور بتوحيد الله والبراءة من كل معبود سوى الله، فلو عبدَ الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله، لم يكن مستمسكاً بالعروة الوثقىٰ.

قال تعالى

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهي لا إِلٰه إِلا الله بل تخلى عنها وأَهملها وأَضاع حقوقها ولم يكن معصوم الدم والمال.

وفي «صحيح مسلم» من طريق مروان الفزاري عن أَبي مالك سعد بن طارق عن أَبيه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«من قال لا إِلٰه إِلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث في كتاب التوحيد:

(وهذا من أَعظم ما يبين معنى لا إِلٰه إِلا الله فإِنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإِقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إِلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم

ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أَو توقف لم يحرم ما له ودمه. فيا لها من مسأَلة ما أَعظمها وأَجلها، ويا له من بيان ما أَوضحه وحجة ما أَقطعها للمنازع).

والبراءة من كل معبود سوى الله قد أُضيعت حقوقه في هذا الزمان عند الكثير، وأُهمل جانبه، ونقضت عراه، وهذا من عموم الجهل بتوحيد العبادة الذي أَرسل الله به الرسل، وأَنزل به الكتب. فإن أَصل الدين: إفراد الله بالعبادة، والبراءة من كل معبود سوى الله. وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهذه ملة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه.

قال تعالى

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

والكلمة التي جعلها الخليل ـ عليه السلام ـ باقيةً في عقبه هي: البراءة من كل معبود سوى الله، وإفراد الله بالعبادة، وهذا معنى:

لا إلٰه إلا الله .

ومن أَنواع العبادات التي أَمر الله بإِخلاصها له ـ سبحانه ـ، وقد عمَّ الجهل بها :

«الذبح» : فإن الذبح لله عبادة من أَجلِّ العبادات وأَعظمها .

قال تعالى

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] .

وقال تعالى

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. والنسك هو الذبح .

فإذا تبين أَن الذبح عبادة : فصرف هذه العبادة لغير الله شرك .

وفي «صحيح مسلم» من طريق منصور بن حيان حدثنا أَبو الطفيل عامر بن واثلة عن علي بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

«لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله .» الحديث .

وقد كثر الذبح لغير الله في هذا الزمان لعموم الجهل بتوحيد العبادة، حتى أَنك تسمع بمن يذبح لطلعة السلطان تعظيماً له، وبعض الجهلة عندما ينزل منزلاً ينسك نسيكة للجن لئلا يصاب

بمكروه ما دام في البيت كما يزعم، ولم يعلم هذا الجاهل المندّد أنه لا يدفع الضر إلا الله.

ولو اجتمع الإنس والجن على أن يصيبوا عبداً بمكروه لم يرده الله لم يستطيعوا ذلك.

قال تعالى

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وفي «جامع الترمذي» من طريق الليث بن سعد قال: حدثني قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ قال:

«واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك. رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومن العبادات التي أمر الله بها «الدعاء»: فإنه عبودية عظيمة، وهو من أعظم الأسباب وأقواها لجلب المنافع، ودفع المضار، والداعي يظهر فاقته واحتياجه لربه.

وقد أخبر الله جلَّ وعلا عن الكفار أنهم في الشدائد يدعون الله

مخلصين له الدين .

قال تعالى

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] .

ودعاء الله عبادة من أَجل العبادات .

وقد أَمر الله عباده بدعائه فقال تعالى

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

وقال تعالى

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وروى الترمذي في «جامعه» من طريق الأَعمش عن ذر بن عبدالله عن يسيع عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ - ﷺ - قال : «الدعاء هو العبادة ثم قرأَ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾» .

قال الترمذي عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الترمذي من حديث أَنس بلفظ : «الدعاء مخ العبادة» وسنده ضعيف .

وفي الحديث : «إِذا سأَلتَ فاسأَل الله» .

رواه الترمذي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وسنده حسن.

وقد خالف عُبَّاد القبور هذه النصوص الصريحة في أَن الدعاء لا يصرف إلا لله، وصرفوه للأَموات والغائبين. فتراهم يدعونهم كأَنهم يسمعون ويستنجدون بهم كأَنهم حاضرون قادرون.

وقد أَبطل الله في كتابه دعاءَهم وأَدحض شبههم ولكن عباد القبور لا يسمعون ولا يعقلون.

قال تعالى

﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقال تعالى

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤].

وقال تعالى

﴿يَا أَيُّها ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمِعُواْ لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْه ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣].

وطلب الحاجات من الموتى سواء كانوا أَنبياء أَو صالحين فضلاً عن غيرهم وسؤالهم الشفاعة وطلب الإعانة منهم والاستعانة

والاستغاثة بهم وسؤالهم غفران الذنوب وتفريج الكروب كل ذلك داخل في دعاء غير الله وكله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة.

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّه فَقَدْ ٱفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عَندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

ومَن عرف التوحيد علم أَن مشركي زماننا أَشد بكثير من شرك الذين نزل القرآن ببيان شركهم، فمشركو زماننا لا ينثنون عن عبادة غير الله لا في الرخاء ولا في الشدة، وجعلوا أَوثانهم ومعبوداتهم من دون الله شركاء وشفعاء مع الله. فالعقيم من الرجال والنساء تجدهم يتضرعون عند قبر الميت كي يهبهم ولداً وكأَنه الخالق الرازق المدبر. وعند الكربات والشدائد والمصائب يشتدُّ تضرعهم للأَموات، وأَمَّا التضرع لله وحده لا شريك له فليس لهم منه نصيب.

وأَما المشركون الذين نزل القرآن ببيان شركهم فقد أَخبر اللهُ عنهم كما تقدم بأَنهم يدعونه في الشدة ويشركون في الرخاء فأَي الشركين أَعظم؟ وكلاهما متبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

ومن أَنواع العبادة التي شرعها الله لعباده، وأَمرهم بالقيام بها **«التوكل»** فإِنه عبادة من أَفضل العبادات، وفريضة من آكد الفرائض. وأَعلى الناس مقاماً في التوحيد أَكملهم توكُّلاً على الله. والتوكل من الأَعمال القلبية كما قالهُ الإِمام أَحمد ـ رحمه الله ـ.

وقد أَمر الله به في كتابه في مواضع كثيرة وأَخبر أَنه يحب المتوكلين.

قال تعالى

﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالى

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس في صفة السبعين

أَلفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب:

«هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وفي «جامع الترمذي» وغيره بسندٍ صحيح عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«لو أَنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

وقد عمَّ الجهل في هذا الزمان بحقيقة التوكل على الله، ولم يَعْرفْ منه الكثيرُ إلا الاسم، وتوكلوا على غير الله إِما على الأَموات والطواغيت كمن يتوكل عليهم في الحفظ والكلاءَة والنصر والتأْييد وكشف البأْس وجلب النفع، وإِمَّا على السلاطين وأَصحاب المناصب والوظائف في طلب الرزق. ويدخل في ذلك من يتوكل على الشهادة الدراسية في طلب الرزق.

والله جل وعلا لم يرسل رسله، ولم ينزل كتبه، إِلا ليكون الدين كله لله، فلا يعبد إِلا الله، ولا يدعى إِلا الله، ولا يتوكل إِلا على الله. وعلى حسب نقص توكل العبد على ربه؛ ينقص توحيده، وعلائق الشرك لا تنفك عن القلب الذي لم يخلص توكله لربه.

وما يحصل من الضيق في الصدر والحرج كله بسبب نقص وضعف التوكل على الله، قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده. بل حقيقة التوكل توحيد القلب. فمادامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل فإن العبد متى التفت إلى غير الله أَخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه. فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة.

ومن هٰهنا ظن من ظن أَن التوكل لا يصح إلا برفض الأَسباب. وهذا حق ولكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح. فالتوكل لا يتم إلا برفض الأَسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها فيكون منقطعاً منها متصلاً بها)[1]

وبالجملة فالقلب يجب عليه أَن لا يتوكل إلا على الله فهو مَرْجوُّه وعياذه وملاذه، ولا يتوكل أَحدٌ على مخلوقٍ إلا لرجائه له.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

(وما رجا أَحد مخلوقاً أَو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك)[2]

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

وبالاعتبار يلاحظ أَن كثيراً من الأَفراد والجماعات يحصل لهم

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ١٢٥).

(٢) «الفتاوى»: (١٠/ ٢٥٧).

الخذلان العاجل أَمام عدوهم وذلك بسبب عدم توكلهم على ربهم بل يتوكلون إِما على شخص معظم وإِما على دولة وإِما على السبب أَو غير ذلك فيتخلف النصر، وذلك أَن الله تعالى أَمر عباده بالتوكل عليه فإِن قاموا به مع سائر الواجبات ضمن الله لهم النصر والتأْييد والفوز والظفر والتمكين في الأَرض وإِن لم يقوموا به فالخذلان حاصل لهم وهذه سنة الله في عباده فإِن الله ينصر مَنْ عَبَدَهُ وتوكَّل عليه وأَخلص أَعماله له. ويخذل من أَشرك به وجعل له شريكاً ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

ومن أَنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله: «النَّذر» فإِنه عبادة لمدح الله للموفين به في قوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الدهر: ٨].

فإِذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك أَكبر. فمن نذر لغير الله كأَن ينذر لنبي أَو وليّ أَو غيرهما كعبد القادر الجيلاني أَو البدوي فهو مشرك شركاً أَكبر.

وقد عمَّت البلوى بالنذر لغير الله في هذا الزمان فأُريقت الدماء وقربت الذبائح لمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، زاعمين أَن لهم بذلك معظم الأُجور. وأَنَّى لهم الأُجور وقد أَتوا بالفجور، والله تعالى طيب ولا يقبل إِلا طيباً.

وهذه الذبائح التي أُريقت لغير الله لا يجوز أَكلها لأَنها مما ذُبحت لغير الله.

قال تعالى

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والمرتد وإن قال على ذبيحته «بسم الله» لا تحل ذبيحته مادام عابداً غير الله صارفاً له جل العبادات من نذر وغيره.

وقد اتفق المسلمون على أَن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به مع اتفاقهم أَيضاً على أَن نذر الطاعة يجب الوفاء به، لما روى البخاري في «صحيحه» من طريق طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«من نذر أَن يطيع الله فليطعه ومن نذر أَن يعصي الله فلا يعصه».

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في نذر المعصية هل تجب فيه كفارة يمين أَم لا، على قولين لأَهل العلم، أَظهرهما أَنه تجب فيه كفارة لعموم ما روى مسلم في «صحيحه» من طريق عبد الرحمن بن شماسة عن أَبي الخير عن عقبة بن عامر عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«كفارة النذر كفارة يمين».

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(وهذا يتناول نذر المعصية من وجهين:

أَحدهما: أَنه عام لم يخص منه نذر دون نذر.

الثاني: أَنه شبهَهُ باليمين ومعلوم أَنه لو حلف على المعصية وحنث لزمه كفارة يمين بل وجوب الكفارة في نذر المعصية أَولى منها

في يمين المعصية)[١]

ومن أَنواع العبادة التي أَمر الله بصرفها له :

الركوع ، والسجود .

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : ٧٧] .

وقال تعالى

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً .﴾ الآية [محمد : ٢٩] .

فمن ركع أَو سجد لغير الله فقد جعل مع الله إِلٰهاً آخر فلا يراد بالركوع والسجود في شريعتنا إِلا التعظيم لمن يركع له أَو يسجد له والتعظيم عبودية من أَجلِّ العبوديات فمن صرف التعظيم لغير الله فقد صرف خالص حق الله لمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

ومثل الركوع والسجود : الانحناء . فلا ينحني العبد إِلا لله لأَنه يراد بالانحناء التعظيم . وتعظيم غير الله من أَعظم الشرك وأَقبحه .

والركوع والسجود والانحناء كل ذلك محض حق لله . وصرفه لغير الله شرك في الأَفعال .

---

(١) «تهذيب السنن» : (٩/ ١١٨ ـ عون المعبود) .

قال تعالى

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

و«أحداً» نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فتعم كل مدعو من دون الله سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً.

فصرف الركوع والسجود والانحناء وغير ذلك من العبادات، لغير الله مناف لما بعث الله به محمداً - ﷺ -، وهدم لملة إبراهيم - عليه السلام -، وتجديد لما اندرس من الشرك، وإحياء لملة عمرو بن لحيّ الذي غيَّر دين إبراهيم وأحيا الشرك.

وأما رفع اليد عند رؤية الرؤساء والأكابر فهذا تشبه بالكافرين.

وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النَّبِيَّ - ﷺ - قال: «من تشبه بقومٍ فهو منهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

(وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١])[١]

وأَمَّا إن رفع يده ووقف خاشعاً خاضعاً لمتبوعه فهذا نوع من الشرك بالله، وقد وقع في هذا خلائق لا يحصون.

وهذا مصداق قول النَّبِيّ - ﷺ -:

---

(١) «الاقتضاء»: (١/ ٢٣٧).

«لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذرعاً بذراع. حتى لو دخلوا في جحر ضُبٍّ لاتبعتموهم». قلنا: يارسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: «فمن».

رواه البخاري ومسلم من طريق زيد بن أَسلم عن عطاء بن يسار عن أَبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ به.

وما أَعز في هذا الزمان من يعمل بالحق، بل ما أَعز من يعرفه فإِن القلوب في هذا الزمان يغلب عليها النفور عن قبول الحق وتحريه، وأَدنى شبهة تعرض للقلوب تجدها تلفي إِليها ولو كانت الشبهة ظاهرة البطلان فهم يتشبثون بما هو أَوهى من بيت العنكبوت.

وهذا من غربة الدين وتغير أَحوال المسلمين.

وقد أَخبر النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ «أَن الإِسلام بدأَ غريباً وسيعود غريباً كما بدأَ»[١]

وخبر النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ صدق فلا بدّ من تحققه ووقوعه، وقد تحقق ما أَخبر به فهذا الزمان يشبه أَزمان الفترات لقلة من يعرف الحق ويعمل به فأَصبح المعروف عند الكثير منكراً حتى أَنه في بعض البلدان أَصبح النهي عن الشرك والكفر فجوراً، والأَمر بالكفر والشرك معروفاً.

---

(١) رواه مسلم: (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦، نووي). من حديث أَبي هريرة. ورواه أَيضاً: (٢/ ١٧٦) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وأي اغتراب فوق هذه الغربة التي فيها نقضت عرى الإسلام عروة عروة، وتكلمت الرويبضة، وأُدلت بالباطل والفجور وجعلته الحق والمعروف الذي أَمر الله به.

والواجب على من عرف الحق واستبان له اتباعه والقيام به وإن خالفه من خالفه وجفاه من جفاه.

فإن الصراط المستقيم له أَعداء قاعدون عليه فليوطن الموحد نفسه وليقبل على ربه فإنه مؤيده وناصره ومعزه ومذلُّ أَعداءه وخاذلهم، ولله في خلقه شؤون.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ قُلْ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلآيَاتُ وَٱلنُّذْرُ عَن قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٩-١٠١].

❑ ❑ ❑

« فصل »

الشرك نوعان : أَكبر، وأَصغر.

وقال بعضهم : وخفي .

ولكن الصحيح : اندراج الشرك الخفي ضمن الأَصغر.

فالشرك الأَكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة. وصاحبه إن لقي الله به فهو مخلَّد في النار.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقد تقدم بعض أَنواع الشرك الأَكبر، وهذه الرسالة مختصرة لا تتسع لذكر تفاصيل أَنواع الشرك الأَكبر وما يتعلق به ولكن تقدمت إشارات إلى بعض أَنواعه مع شيء من البيان وقع على سبيل الاختصار وغالب من يقع في الشرك سببه إعراضهم عن تعلم أَصل الدين وتساهلهم في جانب التوحيد وعدم الوقوف على حقيقته وما يرشد إليه ويدل عليه، وإعراضهم عن تعلم نواقض التوحيد(١) ومفسداته التي

---

(١) وقد كتبت رسالة مختصرة في شرح نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله . فليرجع إليها من أراد الوقوف على نواقض الإسلام ليدرك خطورتها، ويعلم محل كثير من أهل هذا الزمان منها .

متى دخلت عليه أَفسدته وأَحبطت عمل صاحبه وإِن كانت الأَعمال أَمثال الجبال كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥ـ٦٦].

وفي القرآن والسنة مما يبين التوحيد ويبطل الشرك ما يستنفد المرء عمره لمعرفته، فحريّ لمن نصح نفسه أَن يقبل على معرفة التوحيد والوقوف على أَسراره ومعرفة الشرك والبعد عن أَوضاره ومجانبة أَهله فإِنهم أَعوان الشيطان وأَولياؤه وحزبه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾.

وأَما الشرك الأَصغر فلا يخلد صاحبه في النار ولكنه معرض للوعيد وصاحبه على خطر عظيم فلا تستهن به فما أَكثر الواقعين فيه ممن يدعي العلم فضلاً عن غيرهم من العامة وأَشبابههم وقد يترقى بصاحبه إِلى الشرك الأَكبر فيجب التحرز منه والحرص كل الحرص على تحقيق التوحيد.

والسير على منهاج خيار الأُمة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وحققوا توحيدهم ولم يشوبوه بشرك ولا بدع الذين إِمامهم ومقدمهم إِلى رب العالمين محمد الأَمين عليه صلاة وسلام إِلى يوم الدين.

فإِن الحرص على تحقيق التوحيد مما يباعد المؤمن عن الشرك

أَكبره وأَصغره وقد خاف النبي ـ ﷺ ـ على أَصحابه من الشرك الأَصغر فمن بعدهم من باب أَولى أَن يخافه على نفسه .

ففي «مسند الإمام أَحمد» (٥/ ٤٢٨) بسند حسن عن محمود بن لبيد عن النَّبِيّ ـ ﷺ ـ قال : «إن أَخوف ما أَخاف عليكم الشرك الأَصغر» قالوا : وما الشرك الأَصغر يا رسول الله؟ قال : «الرياء» .

وله شاهد من حديث أَبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ .

وأَنواع الشرك الأَصغر كثيرة وأَكثرها وقوعاً وانتشاراً الحلف بغير الله كالحلف بالنبي ـ ﷺ ـ، والأَمانة، والكعبة، والأَب، والأُم، ونحو ذلك كالحلف بعلي بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، والبدوي وغيرهما .

وكون الحلف بغير الله شركاً أَصغر محله إذا لم يرد تعظيم المحلوف به أَما لو كان معظماً للمحلوف به بحيث لو قيل : له احلف بالله كاذباً؛ لحلف، وإذا قيل له : احلف بالبدوي ونحوه كاذباً؛ لما حلف : فهذا شرك أَكبر.

وفي «سنن أَبي داود»، و«جامع الترمذي» من طريق الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة أَن ابن عمر سمع رجلاً يقول : لا والكعبة . فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «من حلف بغير الله فقد كفر أَو أَشرك» .

هذا لفظ الترمذي . ولفظ أَبي داود : «من حلف بغير الله فقد

أَشرك» .

وفي «الصحيحين» وغيرهما من طريق نافع مولى ابن عمر عن عبد الله عن رسول الله ـ ﷺ ـ أَنه أَدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأَبيه فناداهم رسول الله ـ ﷺ ـ :

«أَلا إِن الله عز وجل ينهاكم أَن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أَو ليصمت» .

وفي «صحيح مسلم» من طريق إِسماعيل بن جعفر عن عبد الله ابن دينار أَنه سمع ابن عمر قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

«من كان حالفاً فلا يحلف إِلا بالله» .

وكانت قريش تحلف بآبائها فقال :

«لا تحلفوا بآبائكم» .

فهذا تأْكيد أَكيد من النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ في النهي عن الحلف بغير الله وقد تقدم أَنه شرك .

وقد قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :

«لأَن أَحلف بالله كاذباً أَحب إِليَّ من أَن أَحلف بغيره صادقاً» .

رواه عبد الرزاق في «المصنف» ، والطبراني في «المعجم الكبير» من حديث وبرة عن عبد الله . ووقع الشك عند عبد الرزاق في عبد الله هل هو ابن مسعود أَم عبد الله بن عمر ، والأَثر سنده صحيح .

ومعنى قول عبد الله ظاهر فإِن الحلف بغير الله مع الصدق أَعظم

جرماً وإثماً من الحلف بالله مع الكذب. فالحلفُ بغير الله شرك والحلف بالله مع الكذب معصية. فليعلم ذلك فإنهما لا يستويان.

وأما من استدل بحديث: «أَفلح وأَبيه إن صدق» المخرج في «صحيح مسلم» من طريق إسماعيل بن جعفر عن أَبي سهيل عن أَبيه عن طلحة بن عبيد الله عن النَّبِيِّ - ﷺ - به. على جواز الحلف بغير الله فقد قال ما لا علم له به، وخالف النصوص القرآنية، والأَحاديث النبوية الصريحة بالمنع من الحلف بغير الله. واستدل بما لا تقوم به حجة، والاستدلال بالمتشابه وترك المحكم الصريح من أَفعال الذين في قلوبهم زيغ ومرض. فالواجب أَخذ المُحْكم الصريح وترك المتشابه المحتمل.

وللعلماء - رحمهم الله - عدَّة أَجوبة عن حديث «أَفلح وأَبيه»:

فمنهم من قال بعدم صحة هذه اللفظة لتفرد إسماعيل بن جعفر بها. وقد جاء هذا الحديث في «الصحيحين» من طريق مالك بن أَنس عن أَبي سهيل به وليست فيه هذه اللفظة، ورووه بلفظ «أَفلح إن صدق». قال ابن عبد البر - رحمه الله - في لفظة «أَفلح وأَبيه»: إنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح[1].

ومن الأَجوبة ما قيل: إن هذه اللفظة تجري على أَلسنتهم من غير أَن يقصدوا القسم، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف،

---

(١) انظر: «فتح الباري»: (١١/ ٥٣٣).

وإلى هذا القول ذهب النووي في شرحه لصحيح مسلم وقال: هذا هو الجواب المرضي.

ولكن ليعلم أنه ليس لأي إنسان أن يحلف بغير الله زاعماً أنه لا يقصد حقيقة القسم والقول المتقدم إنما قيل جواباً عن إشكال ورد لكونه يخالف الآيات والأحاديث في النهي عن الحلف بغير الله فلو أن امرءاً حلف بغير الله كفر ولو لم يقصد حقيقة القسم.

فليعلم ذلك فإن الأمر عظيم، والخطب جسيم فلا يجعل المسلم الشبه مكان اليقين، ولا الباطل محل الحق، فإن للحق نوراً، وللباطل ظلمة. فالحق أبلج، والباطل لجلج. ويبصر ذلك البصير الذي جعل كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ: حَكَماً على قول كل أحد والله الهادي إلى سواء السبيل.

ومن الأجوبة على الحديث أيضاً: ما قيل: إن في الجواب حذفاً تقديره أفلح ورب أبيه إن صدق.

وقيل: إن ذلك خاص بالنبي ـ ﷺ ـ دون غيره من الأمة وهذا القول ضعيف، فلا يلتفت إليه. فالأصل التشريع دون الخصوصية فلا تثبت الخصوصية إلا على وفق دليل شرعي، ولم يثبت في هذا شيء. فظهر بطلان هذا القول. وما تقدم من الأجوبة كافٍ في إبطال قول من جوّز الحلف بغير الله وترك المحكمَ وتبع المتشابه.

والله أعلم.

ومن أنواع الشرك الأصغر: قول الرجل: «**ما شاء الله وشئت**»، وقول: «**لولا الله وفلان**»؛ لأن الواو تقتضي المساواة ومساواة الخالق بالمخلوق شرك.

ومن ذلك قول لولا البط في الدار لأتى اللصوص.

وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره على قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد حدثني أبي عمرو حدثني أبو عاصم أنبأنا شبيب بن بشر ثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها «فلان» فإن هذا كله به شرك.

وقال أبو داود: حدثنا أبو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان».

ورواه الإمام أحمد، والطيالسي، وابن السني، والطحاوي وغيرهم من طريق شعبة به، وسنده صحيح.

ومن أنواع الشرك الأصغر أيضاً: «طلب العلم لغير الله»، كطلبه لتحصيل الوظيفة والشهادة، أو طلبه لأجل الرياء والسمعة، ونحو ذلك ممَّا ينافي الإخلاص.

وفي «صحيح مسلم» من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

وفي «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قال: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة: إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

وفي «سنن أبي داود» من طريق فليح بن سليمان عن أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنَّة يوم القيامة».

يعني: ريحها.

وفليح بن سليمان فيه كلام. وقد خرَّج له البخاري ومسلم. والحديث رواه أَيضاً: ابن ماجه، والحاكم وصححه، وسكت عنه الذهبي. وللحديث شاهد من حديث ابن عمر بلفظ: «من تعلم علماً لغير الله أَو أَراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي من طريق أَيوب السختياني عن خالد بن دريك عن ابن عمر به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وهذا الصنف، أَعني: طلاب الدنيا بالدين، مرضى مرض قلوب، باعوا دينهم وإِخلاصهم لتحصيل منافع عاجلة، وهذا بلاء عظيم، ومرض متوغل في القلوب، ومسلك منحرف، صاحبه كأَنه لا يعيش إِلا ليأْكل، وهذا مسلك اليهود الذين عبدوا الدنيا وهجروا ما وراءَها، بل جحدوا ما وراءَها.

والأَمراض القلبية من حب الجاه، والعلو في الأَرض، وتطلب مدح الناس: عقوبات يصاب بها كثير من العباد الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، وهذه الأَمراض تسلب المسلم دينه وكرامته، فقبحها فوق ما يتصوره الكثير، فما أَسوأَ مغبّتها، وأَعظم خطرها، وأَسرع عقوبتها، وما أَهون صاحبها على الله.

ووراء هذه الأَمراض الفتَّاكة: «العلم المغشوش»، الذي هو عقبة على العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ.

فأَصحاب العلم المغشوش يرفرف الجهل على قلوبهم ويظنون أَنهم حازوا العلم المنشود؛ لأَن صاحب الهوى قد أَعماه هواه عن معرفة الحق، ومن أَرشدهم إِلى خطر هذا العلم، وبعده عن تعاليم الدين، رموه عن قوس واحدة بالجهل والتخلف، وربما نسبوه إِلى الخوارج المارقين. فالله المستعان.

□ □ □

«فصل»

وأَما النوع الثالث من أَنواع التوحيد فهو:

«توحيد الأَسماء والصفات» .

ومعرفة هذا النوع من الأُصول التي أَرسل الله بها رسله، وأَنزل بها كتبه. فإِنكار هذا النوع إِنكار للخالق وجحد له. ولا يدخل العبد في الإِسلام حتى يؤمن بأَسماء الله وصفاته.

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإِيمان ـ حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإِيمان بالصفات وتعرفها: هو أَساس الإِسلام وقاعدة الإِيمان وثمرة شجرة الإِحسان. فمن جحد الصفات فقد هدم أَساس الإِسلام والإِيمان وثمرة شجرة الإِحسان، فضلاً عن أَن يكون من أَهل العرفان. وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به. وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أَهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى:

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ .

فأَخبر سبحانه أَن إِنكارهم هذه الصفة من صفاته: من سوء ظنهم به، وأَنه هو الذي أَهلكهم. وقد قال في الظانين به ظن السوء ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه، وجحد صفاته وإِنكار حقائق أَسمائه من أَعظم ظن السوء به. .)[1]

ومذهب سلف الأُمة وأَئمتها في باب الأَسماء والصفات: أَنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، أَو بما وصفه به رسوله محمد ـ ﷺ ـ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وينزهون الله عن مشابهة المخلوقات تنزيهاً بلا تعطيل ويثبتون لله جميع الأَسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة إِثباتاً بلا تمثيل، فإِن من نفى عن الله صفة من صفاته فهو معطل، وإِن حرفها وصرفها عن ظاهرها فهو ملحد محرف، وإِن أَثبتها وقال: إِنها تشبه صفات المخلوقين فهو مشبه، وإِن قال: أُفوض علم معاني الصفات إِلى الله فهو مفوض وخطرهُ على العقيدة أَعظم من خطر الجهمي لخفاء قوله على كثير من المشتغلين بالعلم، والعجب أَن كثيراً ممن تصدى للتصنيف يعزو

(١) «مدارج السالكين»: (٣/ ٣٦٣).

هذا القول إلى السلف[1]، وأنه مذهبهم وهذا كذبٌ عليهم أو خطأ،

(١) وهم كثر ممن لم يفقه مذهب السلف على حقيقته منهم: الرازي، والغزالي، والسيوطي، وصاحب «كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن» فإنه قد عزى مذهب التفويض إلى السلف وارتضى هذا القول وسمى المذهب الصحيح المبني على الكتاب والسنة مذهب الخلف، وله في كتابه المذكور آراء فاسدة وتصورات خاطئة في العقيدة نذكر ما يتيسر منها لاشتهار الكتاب واشتغال الكثير بدراسته وتدريسه، فمن ذلك أنه زعم (أن الصفات من المتشابه) كما في: (٢/ ٢٨٦)، ويقصد بالمتشابه الذي لا يُعْلم معناه لأنها عنده مشكلة. وهذا خطأ وضلال فإن باب الأسماء والصفات باب محكم واضح يفهم أصل المعنى كل إنسان لم تتغير فطرته، وكيف يكون مشتبهاً أفضل شيء حصلته النفوس واكتسبته القلوب ولم يتوف الله نبيه ـ ﷺ ـ حتى أكمل به الدين، وأساس الدين معرفة الله بأسمائه وصفاته وقد بلغه النبي ـ ﷺ ـ. بلاغاً عاماً فعلمه الخاص والعام وفي الصحابة القروي والبدوي والعربي والعجمي ولم يشتبه توحيد الأسماء والصفات على واحد منهم بل آمنوا به وعرفوا المراد منه أعظم معرفة.

وزعم الكاتب في كتابه: (٢/ ٢٨٦) أن ظواهر الصفات غير مرادة للشارع قطعاً لأنه مفوض ويظن أن التفويض هو مذهب السلف كما تقدم، وعنده أن إثبات السمع لله والبصر والعلم والحياة والاستواء ونحو ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه موهمة للتشبيه ومن ثم قال: (إن ظواهرها غير مرادة لله) يريد بذلك نفي ما تحمله الصفات من المعاني لأن إمرار الصفات كما جاءت مع فهم معانيها وإثبات حقائقها يوهم التشبيه عنده تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

والذي عليه أهل الفطر السليمة أنهم إذا أثبتوا لله السمع والبصر والعلم والحياة والاستواء لم يقتض ذلك أن يكون علمه وبصره وسمعه وحياته واستواؤه، كعلم المخلوق وبصر المخلوق وسمعه وحياته لأن الله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وقال في كتابه (٢/ ٢٩١) إرشاد وتحذير:

(لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق، =

والسلف برآء من هذا المذهب براءة الذئب من دم يوسف.

= وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات).

هكذا قال هذا الكاتب وجنى على نفسه وخاض فيما لا يحسنه ومن خاض فيما لا يحسنه أتى بالعجائب وجعل الحق باطلاً والباطل حقاً وأنكر ما أجمعت الأمة عليه، وصوَّب ما اتفق أهل العلم والمعرفة على تخطئته، وهذا الكاتب جعل إثبات الصفات لله على ما يليق به خوضاً بغير حق وقد سبق إبطال زعمه بأن الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه.

وأما قوله: (ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه إلخ) فهو خطأ خطير فليس في إثبات نصوص الصفات ما يحتمل التشبيه أو الكفر، ومن ظن أن إثبات صفات الكمال لله تعالى يقتضي تشبيهاً فهو مخطىء في ظنه ضال في عقيدته، وأهل الكلام لهم عبارة يرددونها في كتبهم وقد تقدم ردها وهي: (أن ظواهر الصفات غير مرادة لله) فالإيمان بصفات الله عندهم يقتضي الكفر والتشبيه لأنهم يظنون أن إثبات صفات الخالق على وفق ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية يقتضي أو يحتمل تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك ظن الذين كفروا فلا يظنون إلا المعاني الفاسدة فويل للذين كفروا من النار.

وليس في الكتاب ولا في السنة ما ظاهره يقتضي كفراً أو تشبيهاً، وتعالى الله عن أن يكون ظاهر كلامه كفراً أو تمثيلاً أو تشبيهاً، وأهل الباطل يتوهمون في صفات الله أو أكثرها أنها تماثل صفات المخلوق فلا يفهمون من إثبات الصفات إلا هذا الفهم الباطل الناشىء من تعطيل ما يستحقه الرب.

والقرآن مملوء من الرد على من شبه الخالق بالمخلوق قال تعالى: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقال تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾، وقال تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾، وقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

والمسلم يجب عليه أن يثبت أسماء الرب وصفاته من غير تمثيل ولا تشبيه، ولا يهولنّه أقوال المعطلين لأسماء الله وصفاته مِنْ أنَّ مَنْ أثبت له صفات الكمال فقد =

فإن مذهب السلف إثبات الصفات لله، وإمرارها كما جاءت،

= شبه.

ثم قال الكاتب بعد ذلك: (ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون، ومن ذلك قولهم: إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست: جهة الفوق ويقولون إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً، بمعنى أنه استقر فوقه استقراراً حقيقياً غير أنهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا وليس على ما نعرف. .).

أقول: وأما قوله (أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا . . .) فيقال هذا لا عيب فيه إنما العيب والضلال، الامتناع من إثبات ألفاظ الصفات وحقائقها، وأما مواجهة العامة بإثبات الصفات وإمرارها كما جاءت مع فهم أصل المعنى وإثبات حقائقها فهو أمر ضروري وتبليغه من الأمور الضرورية فلا يتم إسلامهم إلا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته والإيمان بذلك لأنه أساس الإسلام، ومن أنكر مواجهة العامة بذلك وامتنع من قراءة آيات الصفات وأحاديث الصفات فقد أنكر أصل الدين وأتى بقول يضارع قول الجهمية المعطلين وقد كان النبي - ﷺ - يواجه جميع المسلمين بذلك عربهم وعجمهم لأن ذلك من أعظم دعائم التوحيد والممتنع من مواجهة العامة بذلك ممتنع عن تبليغ أصل الدين والله المستعان.

وأما قوله: (وينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح . . .) فجوابه أن يقال نسبتهم إثبات الصفات للسلف من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف حق لا امتراء فيه ولا ينازع في ذلك أحد شمَّ رائحة العلم إنما ينازع في ذلك المعتزلة والجهمية والمفوضة وأشباههم من الصادين عن سبيل الله وأمَّا استعظام الكاتب، قول من قال: (إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية) فهذا مبدأ إنكار علو الله على خلقه، وسيد ولد آدم في أعظم مجمع حضره الناس يشير بأصبعه السبّابة إلى السماء ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرّات». والحديث في «صحيح مسلم» من حديث جابر الطويل في صفة حج النبي - ﷺ -. فالنبي - ﷺ - في هذا المجمع العظيم يستشهدُ ربه الذي فوق العرش والجهمية المعطلة تنكر ذلك وتزعم أنه أشار إلى السماء مستشهداً =

مع الإيمان بمعانيها وما دلت عليه، والله جل وعلا إنما أنزل القرآن

= لها وهذا الكاتب يوافق الجهمية على أن الله لا يشار إليه بالإشارة الحسية وهذا ليس بمستغرب من الكاتب لأنه لا يؤمن ولا يقر بعلو الله على خلقه ولا باستوائه على عرشه استواءً حقيقياً يليق به، ومن لا يؤمن بهذا فليس بمستنكر منه إنكار الإشارة إلى الله، وإنكار علو الله على خلقه أصل التعطيل المأخوذ عن الصابئة والمشركين وعندهم أن الله ليس في السماء وليس هناك في السماء إله يعبد ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأيّ دين يبقى لمن أنكر علو الله على خلقه وقد اتفقت الرسل على الإقرار به وشهدت به العقول السليمة والفطر وعلم من الدين بالضرورة فجميع المسلمين عند نزول الشدة والكرب وغير ذلك يرفعون رؤوسهم نحو السماء رافعين أيديهم يتضرعون لربهم لكشف الكرب حتى شعراء الجاهلية مقرون به لأن الله فطرهم على أنه فوق السماء.

قال عنترة:

يا عبلُ أين من المنية مهربي إذْ كان ربي في السماء قضاها

وهذا كثير في أشعار أهل الجاهلية فهم أعقل من الجهمية المنكرين لعلو الله على خلقه فهم كابروا المنقول والمعقول قال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦]. وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وفي «الصحيحين» وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش». وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ـ ﷺ ـ قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». والأحاديث في إثبات علو الله على خلقه متواترة فلا ينكر ذلك إلا جهمي مارق خارج عن الدين داخل في زمرة الصابئة والمشركين.

وأما إنكار استواء الله على عرشه فهو أيضاً مذهب الجهمية المنكرين للعلو، وفي سبعة مواضع من القرآن. يثبت الله استواءه على العرش وهذا الاستواء استواء حقيقي =

تبياناً لكل شيء ليتدبر العباد آياته ويتفقهوا في معانيه كما قال تعالى:

= معلوم، ولكن الكيف مجهول ومن أنكر استواء الله على عرشه استواءً حقيقياً فهو جهمي وقد كفر الجهمية خمسمائة عالم من سائر البلدان.

قال العلامة المحقق ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «نونيته»:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني

وقال يزيد بن هارون: مَنْ زعم أن الرحمن فوق العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامّة فهو جهمي. وعلى هذا المنهج درج علماء السلف ونسبوا منكر الاستواء إلى الجهمية، هذا وليعلم أنني لم آت على جميع ما في كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» من التعطيل والتفويض فليكن المسلم حذراً ممَّا يقرره صاحب الكتاب في باب العقيدة وليستغن بكتب السلف عن هذا الكتاب فإنه يخاف على مطالعه من الاغترار بشبهاته وأباطيله خصوصاً أنه يعزو ما يأتي به من الباطل إلى السلف، ولا يستطيع هذا الكاتب ولا غيره ممن عدل عن مذهب السلف وركن إلى مذهب الخلف وارتضى لنفسه مذهب التفويض والتعطيل أن ينقل حرفاً واحداً عن السلف فيما ادّعىٰ وليس هناك شيء مما ادعاه قاله السلف لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا قاله أحد من الأئمة المشهورين الذين لهم رسوخ في العقيدة وقدمُ صِدْقٍ في هذا الباب كمالك ويزيد بن هارون وحماد بن زيد والأوزاعي ونعيم بن حماد وأحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه والبخاري ولا من بعدهم من الأئمة المحققين كابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ـ رحمهم الله ـ، وخطأ هذا المفوض جاء من قبل جهله بمذهب السلف وظنه علماء الكلام هم السلف الذين لهم المرجع في مثل هذه المسائل، وهذا ضلال مبين.

والواجب على كل مسلم يريد نجاة نفسه تدبر القرآن والكريم والسنة النبوية في هذا الباب العظيم، وعليه بسؤال رب جبريل وميكائيل وإسرافيل الهداية إلى صراط مستقيم فإنه من فهم هذا الباب وأثبت لله ما أثبته لنفسه فقد هدي إلى صراط مستقيم، فنسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم ونستعيذ به من صراط أهل الجحيم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ . ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ القول﴾ ونحو ذلك من الآيات. والتدبر المأمور به عام في آيات الصفات وغيرها فلا يُخصُّ شيء دون شيء، ومن خصَّ التدبر بآيات الأَحكام دون آيات الصفات فعليه إقامة البرهان والحجة على هذا التخصيص الذي ما أَنزل الله به من سلطان. فالسلف إذا قرأُوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ علموا أَن الله لا سَمِيَ له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يماثله شيء من المخلوقات، وأَنه سميع بصير. فالسميع اسم من أَسماء الله تعالى، فيُستفاد منه: إثبات صفة السمع لله تعالى. قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

وقال تعالى

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

والقرآن مملوء من إثبات السمع لله، ومن تدبر القرآن مريداً للحق تبين له طريقه.

وقوله تعالى: ﴿البصير) يستفاد منه إثبات صفة البصر لله تعالى. وليعلم أَن كون الله «سميعاً بصيراً» والمخلوق سميعاً بصيراً؛ لا يلزم منه مماثلة، ولا مشابهة، فليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر. فلِلَّهِ تعالى من ذلك صفات الكمال المطلق. أَما المخلوق فإن

حصل له كمال فهو كمال نسبي وأمره إلى هلاك كما قال تعالى :
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ .

وهذا الباب مهم، يجب تدبره. وقد غلط فيه بعض المنتسبين إلى العلم، وزل فيه فئام من الناس ممن تصدى للتعليم والتصنيف، ونفوا عن الله ما وصف به نفسه، زاعمين نفي التشبيه؛ فضلوا في هذا الباب العظيم، وخالفوا ما دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

وليس ولله الحمد فيما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ـ ﷺ ـ تشبيه إنما التشبيه في نفي ما أثبت الله لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ـ ﷺ ـ. ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه بدعوى تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، فقد أعظم على الله الفرية، وحرف الكَلِمَ عن مواضعه، وسلك مسلك أهل التحريف والإلحاد، وفارق الجماعة.

وقد مضى سلف الأمة وأئمتها المهتدون على إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، ولم يتنازعوا في شيء من ذلك، واتفقوا على: إمرار الصفات كما جاءت، مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها.

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات

وأَخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإِثبات حقائقها. وهذا يدل على أَنها أَعظم النوعين بياناً وأَن العناية ببيانها أَهم لأَنها من تمام تحقيق الشهادتين وإِثباتها من لوازم التوحيد. فبيَّنها اللهُ سبحانه وتعالى ورسوله بياناً شافياً، لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم، وآيات الأَحكام لا يكاد يفهم معانيها إِلا الخاص من الناس، وأَما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أَعني: فهم أَصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية)[1].

أَقول: ولا سبيل للخلق إِلى معرفة الكنه والكيفية ولم يكلف الله عباده بمعرفة ذلك فيقف المسلم حيث جاءت به النصوص وما عدا ذلك لا يخوض به المسلم وليعلم أَن الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

وقاتل الله أَهل الباطل فما أَدخلهم فيما لا يعنيهم وما لم يكلفوا بعلمه ومعرفته وما أَبعدهم وأَجهلهم وأَضلهم عن معرفة ما أُمروا بعلمه ومعرفته.

□ □ □

---

(١) «مختصر الصواعق»: (١/ ١٧).

«فصل»

اعلم أَن المذاهب المخالفة لمذهب السلف في باب الأَسماء والصفات: كالمعتزلة، والجهمية، والأَشاعرة، والماتريدية، والإِباضية، والمفوضة كثيرة جداً، وأَكثر هذه المذاهب الضالة شيوعاً مذهب الأَشاعرة، وكثير من كتب التفسير والحديث والأُصول تمتليء به. وكثير من أَتباع هذا المذهب يسمون أَنفسهم أَهل السنة والجماعة، فكثيراً ما يرد في عبارات بعض علماء الأَشاعرة: «اتفق أَهل السنة»، و«هذا مذهب أَهل السنة والجماعة»، ويعنون بذلك مذهب الأَشاعرة.

والأَشاعرة ليسوا في عداد أَهل السنة والجماعة، لا في باب الأَسماء والصفات، ولا في كثير من أَبواب العقيدة، إِنما هم في عداد أَهل الفرقة والضلالة، وفيهم أَيضاً، أَو في أَكثرهم: إِرجاء، وجبْر، وشيء من التَّجَهُّم. فإِنهم يوافقون الجهمية في كثير من أُصولهم.

ومن زعم أَن الأَشاعرة من أَهل السنة والجماعة؛ فهو إِما جاهل بمذهب السلف وحقيقته. فهذا يجب عليه أَن لاَّ يَقْفُ ما ليس له به علم، فإِن الكلام بلا علم جهل وضلال. وإِمَّا صاحب هوى، وباطل، يجادل بالباطل ليدحض به الحق.

وكيف يكونون من أَهل السنة والجماعة ومصدر التلقي عندهم في باب الأَسماء والصفات، وكثير من أَبواب العقيدة هو: العقل؟!

وقد صرَّح كثيرٌ من أَئمتهم أَنه إِذا تعارض النقل والعقل؛ يقدم العقل. وهذا معلوم لمن عنده معرفة بمذهب القوم. مع أَن التعارض بين النقل والعقل لا يمكن على المذهب الصحيح فإِن العقل الصحيح يوافق السمع الصحيح ولا يخالفه، وإِن جاء ما يوهم ذلك. فلفساد العقل أَو لعدم صحة النقل.

وكثير من أَهل البدع يبتدعون بدعاً، ويدَّعون أَن العقل دلَّ عليها. كما يفعل ذلك الأَشاعرة وغيرهم.

فلذلك ينبغي التنبه إِلى أَن العقل لا يستقل وحده أَبداً بإِثبات أَصل من أُصول العقيدة أَو الأَحكام.

وقد ضل كثير من أَهل الكلام الفلاسفة والأَشاعرة وغيرهم في تأْسيس دينهم على العقليات التي تتجلَّى لهم دون ميزان شرعي، وما ضل من ضل إِلا بتقديم العقل على النقل.

والأَشاعرة أَيضاً لا يثبتون لله إِلا سبع صفات: الحياة، والعلم، والكلام، والقدرة، والإِرادة، والسمع، والبصر. ومنهم من يثبت صفة اليد لله تعالى، وأَكثرهم على نفيها. وما أَثبته الأَشاعرة من هذه الصفات السبع حجَّة على ما نفوه. فلا يأْتون بدليل يدل على نفي ما عدا السبع إِلا كان دليلاً يستدل به على نفي السبع، ولا يأْتون بدليل

يدل على إثبات الصفات السبع إلا كان دليلاً على إثبات ما عداها .

وإثبات الأَشاعرة لسبع صفات، ونفي ما عداها: من أَقوى الأَدلة، وأَكبر البراهين على ضلالهم، وفساد عقولهم، وتناقضهم، واضطرابهم .

فإذا بطل قولهم، واستبان تناقضهم في إثبات سبع صفات دون ما عداها، لم يبق إلا إثبات جميع ما وصف الله به نفسه، أَو وصفه به رسوله محمد ـ ﷺ ـ مما صحَّت به الأَحاديث، كما عليه سلف الأُمة وأَئمتها، وترك السفسطة والتحريف والتأْويل الفاسد .

والأَشاعرة وغيرهم من أَهل البدع: يدعون النصوص الصريحة التي توجب العلم، ويعارضونها بترّهات وشبه تورث الشك، وهي في غاية من الضعف والاضطراب .

فسبحان من أَضلهم، وأَعمى قلوبهم، فلا يفقهون الحق، ولا يعونه . ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وبُعْدُ مذهب الأَشاعرة عن مذهب السلف أَمر لا يخفى على طالب علم، فضلاً عن عالم عرف حال القوم . وخطورة مذهبهم على العقيدة السلفية فوق ما يخطر ببال الكثير . وقد بيَّنتُ شيئاً كثيراً من خطورتهم على العقيدة في مصنف مستقل يسر الله إتمامه يتضمن تنبيه أَهل الإيمان على خطورة تعليقات وتحقيقات واختصارات بعض

المعاصرين على كتب السلف، فإنهم اتخذوا الاختصارات وغيرها سُلماً لبث بدعهم وضلالهم: إما في صلب الكتاب، كما يفعل ذلك الصابوني: الذي اتخذ اختصار الكتب سبيلاً لنشر مذهب الخلف في كتب السلف. وقد أَتيت على بنيان اختصاراته وكتبه من القواعد، وبيَّنتُ ما فيها من الأَوابد في كتابنا المشار إليه آنفاً. وإما في الحواشي مع استعمال المخادعة في بث البدعة. فتجدهم يعزون القول المبْتَدَع إلى بعض المتقدمين من المتكلمين، أَو غيرهم ممن قوله يوافق مذهبهم حتى لا ينكشف أَمرهم. وكل هذا سوف أَستخرجه ـ إن شاء الله ـ من كتبهم وتعليقاتهم على كتب السلف، فإنَّ تنقية العقيدة وكتب السلف من تلاعب الخلف، ـ ونعني بالخلف: أَهل البدع ـ أَمر مهم تشتدُّ إليه الحاجة في هذا الزمان، وهو من أَفضل الجهاد في سبيل الله، إذ الوقوف في نحور أَهل البدع، وكشف عوراتهم، وبيان طرائقهم ومكايدهم ومناهجهم: جهاد من أَفضل الجهاد.

نسأَل الله الإخلاص في القول والعمل. ونعوذ به من أَهل الغل والحسد والافتراء.

□ □ □

« فصل »

إذا عرفت مذهب السلف الصالح في باب الأَسماء والصفات؛ فاعلم أَنه قد ضل فيه طوائف من المنتسبين إلى العلم. وسبب ذلك خوضهم مع أَهل الكلام، واشتغالهم بعلومهم، ومجالستهم، ومصاحبتهم؛ لأَن أَهل الكلام والجدل والخصومات في الدين أَهل بدع وضلال.

وما تزعزعت عرىٰ الإسلام، وانتقضت معظم مبانيه إلا بسبب أَهل الكلام وعلومهم، فهم منشأ الشر ومنبعه.

ومن ثَمَّ تتابعت أَقوال العلماء والأَئمة على ذم الكلام والطعن في أَهله، ورميهم بالابتداع في الدين، ونشر الفساد بين المسلمين.

فهذا الإمام الشافعي يقول:

(لأَن يبتلىٰ العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام، ولقد اطلعت من أَصحاب الكلام على شيء ما ظننت أَن مسلماً يقول ذلك).

رواه ابن أَبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه»: (ص١٨٢)، وسنده صحيح.

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ في «شرح السنة»: (١/ ٢١٦):

(واتفق علماء السلف من أَهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلّمه).

ويدخل في علوم أَهل الكلام ما فشا في عصرنا هذا ممّا يُعَلَّم في بعض المدارس النظامية من علوم أَهل الهيئة كقولهم: (إن الجبال ناشئة من تصادم الصفائح في باطن الأَرض)، وقولهم: (إن المجموعة الشمسية تكونت من ضباب غاز نتيجة لتجاذب أَجزاء الغبار)، وقولهم: (الخسوف من الظواهر الطبيعية التي تنتج عن دوران القمر حول الأَرض ودوران كليهما حول الشمس)، وقولهم: إن المجموعة الشمسية كانت جسماً كالضباب مكون من الغاز وبفضل الجاذبية والطاقة تجمعت عناصر هذا الضباب ضمن كتل ثم انفصلت تدريجياً إلى كتل كبيرة إلى أَن تكونت منهما المجموعة الشمسية)، وغير ذلك مما يصادم المنقول ويخالف المعقول، وأَصبح تعلمه أَمراً ضرورياً عند كثير من أَهل هذا الزمان ممن غلب عليه إيثار الدنيا على الدين.

وقد قال الذهبي ـ رحمه الله ـ:

(فوالله لأَن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات الخمس ويؤمن بالله واليوم الآخر خير له من هذه العلوم).

وعلماء الكلام بداية أَمرهم في ضلال، ونهاية أَمرهم إِلى تباب.

وقد أَخبر الشهرستاني وهو أَحد المتكلمين بما آل إِليه أَمره بعدما طاف البلاد وعلم خطورة علم الكلام وعدم ثمرته للإِنسان فقال:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها
وسيَّرت طـرفي بين تلك المعـالم
فلـم أَر إِلا واضعـاً كـفَّ حائر
عـلى ذقـن أَو قارعـاً سـنّ نـادم

وقال شقيقه في الخوض بعلم الكلام والجدل في الدين: الرازي:

نهـايــة إِقـدام العقـول عـقـال
وأَكـثـر سعـي العالميـن ضلال
وأَرواحنـا في وحشـة مـن جسـومنا
وحاصـل دُنيـانـا أَذىً ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أَن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأَملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأَيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأَيتُ أَقرب الطرق طريق القرآن.

أقرأ في الإِثبات: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[١]

وقد ضل أكثر من خاض في علم الكلام وما استطاعو التخلص منه فالشبه خطافة، ومن أراد التقرب إلى الله بهذا العلم لم يزدَدْ من الله إلا بعداً. قال تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

فإذا عرفت قبح علم الكلام ومضرته، وأنه بدعة وضلالة؛ فاعلم أن من أصول أهل السنة والجماعة: هجر أهل الكلام والبدع، ومنابذتهم، والتحذير منهم، والتنكيل بهم، سواء كان المبتدع داعية إلى بدعته، أو لم يكن داعية، إلا أن الداعية أعظم حتى أنه إذا لم يندفع شره إلا بقتله جاز لإمام المسلمين قتله. فإذا كان قطاع الطريق إذا لم يندفع شرهم إلا بقتالهم جاز قتالهم، فكيف بالمبتدع الذي ضرره على الإسلام والمسلمين أعظم من ضررهم!

واعلم أن ما يوسوس به بعض جند الشيطان من أهل هذا العصر على العامة وأشباههم من دعواهم أن مجانبة المبتدعة يوقع الشقاق والاختلاف بين الأمة وهي بحاجة إلى توحيد كلمتها. مخالفٌ لهدي

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية»: (ص٧)، و«سير أعلام النبلاء»: (٢١/٥٠١)، و«طبقات الشافعية»: (٨/٩٦).

سيد المرسلين وصحابته الأَكرمين.

وما ارتدىٰ هذا المنهج أَحدٌ إلا خذل لأَنه مبني على الجهل والمداهنة بل والنفاق وبئس الاتفاق المبني على مصاحبة أَهل البدع ومجالستهم ومداهتهم وهذا الاتفاق المزعوم؛ أَمره في مريج وآخر مآله إِلى شقاق لأَن مبناه على المشاقة لله والرسول.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهِ الهُدَىٰ وَيَتَّبِع غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

فهذا وعيد شديد على من اتبع غير سبيل المؤمنين، ومنه مجالسة أَهل البدع؛ لأَن سبيل المؤمنين مبني على موالاة المؤمنين، وهجر الكافرين والمبتدعين، فمن تولى المبتدعين ولاَّهُ الله ما تولى وأَصلاه جهنم وساءت مصيراً.

قال تعالى

﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللهَ وَرَسُولَهِ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ ٱلإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارَ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عنه. أُولَئِكَ حِزْبَ ٱللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ومجالسة أَهل البدع محادة لله ورسوله.

وأَوثق عرى الإِيمان الحب في الله والبغض في الله فتحب أَهل

السنة والجماعة وتبغض أَهل البدعة والضلالة .

وهذه ملة إِبراهيم ـ عليه السلام ـ التي من رغب عنها فقد سفه نفسه. ومن أَخلَّ بهذا الأَصل فقد أَخلَّ بأَصل من أُصول الإِسلام، وهدم ملة إِبراهيم ـ عليه السلام ـ التي مدارها على الولاء والبراء .

قال أَبو قلابة :

(لا تجالسوا أَهل الأَهواء ولا تجادلوهم فإِني لا آمن أَن يغمسوكم في ضلالتهم أَو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) .

رواه الدارمي في «سننه» : (١/ ١٢٠٨)، وسنده صحيح .

وقال في (١/ ١١٠): أَخبرنا أَحمد ثنا زائدة عن هشام عن الحسن وابن سيرين أَنهما قالا:

(لا تجالسوا أَصحاب الأَهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم) .

وحديث كعب بن مالك المخرَّج في «الصحيحين» وغيرهما حين تخلف ومن معه عن غزوة تبوك، فيه دلالة ظاهرة على هجران أَهل المعاصي والإِعراض عنهم. فكيف بأَهل البدع فإِنهم أَولى بالهجر حتى يتوبوا فإِن تابوا قُبل منهم وإِلا فهجرهم على التأْبيد حتى ينزجر بهم غيرهم لأَن النَّبي ـ ﷺ ـ هجر كعباً وصاحبيه وأَمر أَصحابه بهجرهم .

قال البغوي ـ رحمه الله ـ في «شرح السنة» : (١/ ٢٢٧) :

(وقد مضت الصحابة والتابعون وأَتباعهم وعلماء السنة على هذا

مجمعين متفقين على معاداة أَهل البدعة ومهاجرتهم).

فعلى جميع الخلق الخضوع لهذا المنهج الصحيح الذي درج عليه الصحابة والتابعون لهم بإِحسان وترك الجدل والبدع وحذار حذار من رد الحق من أَجل شهوتك ورغبتك، أَو تعتذر عن اتباعه بفعل علمائك ومشايخك. فإِن الحق لا يُعرف بالرجال ولا بالكثرة.

فالفرض على جميع الخلق اتباع الكتاب والسنة، وردُّ المسائل المتنازع فيها إِليهما. فالحق يدور على هذين الأَصلين لا يخرج عنهما أَبداً. فالأَخذ بالكتاب من تحقيق شهادة أَن لا إِله إِلا الله، والأَخذ بالسنة من تحقيق شهادة أَن محمداً رسول الله. ولا يعْدو هذين الأَصلين إِلا من احتوشته أَسباب الشقاوة.

قال تعالى

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

وعلى كل مسلم أَن يحرص على تحقيق شهادة أَن لا إِله إِلا الله وأَن محمداً رسول الله، ويحصل ذلك بتجريد المتابعة للنبي - ﷺ - فالحق دائر معه وجوداً وعدماً، وأَما غيره فيؤخذ من قوله ويرد، فمن جاء بالحق قبل منه وإِن كان بغيضاً لأَنه يخبر عن الله تعالى ورسوله لا عن نفسه.

ومن جاء بالباطل رد عليه وإِن كان محبوباً وهذا حقيقة تجريد

المتابعة للنبي ـ ﷺ ـ، ولن يضل المرء ما اتبع الأَثر ولن يسأَله اللهُ عن كونه لم يتبع فلاناً وفلاناً ما اتبع الرسول ـ ﷺ ـ وقد أَخبر النبي ـ ﷺ ـ عن وجود التنازع والاختلاف في هذه الأُمة فقال:

«إِنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين».

رواه الترمذي، وأبو داود، وأَحمد عن العرباض بن سارية وسنده صحيح.

ففي هذا الحديث إِشارة إِلى ظهور الخلاف الكثير وقد وقع كما أَخبر ولكن بين المَخْرج منه فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» فأَمر باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وترك ما أَحدث الناس بشهواتهم ورغباتهم وتخضيع النصوص الشرعية مسايرة للواقع فإِن الواقع لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً. فالحلال ما أَحله الله، والحرام ما حرمه الله، وما سكت عنه فهو عفو.

قال الأَوزاعي ـ رحمه الله ـ

(عليك بآثار من سلف وإِن رفضك الناس وإِياك وآراء الرجال وإِن زخرفوها لك بالقول).

رواه الخطيب في «شرف أَصحاب الحديث»، وسنده صحيح.

وقال الإِمام أَحمد ـ رحمه الله ـ :

(أُصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أَصحاب رسول الله

ـ ﷺ ـ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة .)[١].

وهذا آخر ما كتبته فللَّهِ الحمد والمنَّة على ما يسر.

وأَستغفر الله الكريم على ما يقع من الخطأ والزلل.

فلك أَيها القاريء له غنمه وعلى كاتبه غرمه.

فنسأَل الله تعالى أَن يهدينا الصراط المستقيم، وأَن يمنَّ علينا بجنات النعيم، وأَن يجعل جميع أَعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأَن يغفر لنا خطأَنا فإِنه لا يسلم من الخطأ إِلا من عصم الكريم، ولا عصمة إِلا للأَنبياء والرسل المصطفين. وحسبنا أَننا قصدنا الحق وتحرينا الصواب.

وأَعوذ بك اللهم ممن لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إِلى ركن وثيق، وليس لهم من العلم نور يفرقون به بين الحق والباطل؛ فجعلوا الباطل حقاً، والحق باطلاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة.

وأَعوذ بك اللهم ممن ضاق بالحسد والغلِّ صدره فلم يستطع كتمه ولا دفعه؛ فلجأَ إِلى البهت والمسبة، ورمانا بالعظائم وكل قبيح، واجتهد بالتدليس والتلبيس على خفافيش الورى، رغبة في التكفير والتفسيق.

اللهم فعياذاً بك من هؤلاء الحاسدين والبغاة المعتدين الذين قلَّ حياؤهم، وانطمس ورعهم، وقل دينهم؛ فكثر بهتهم وارتووا من

---

(١) «طبقات الحنابلة»: (١/ ٢٤١).

الظلم والجهل فضاقت مذاهبهم وانقطعت مكايدهم وحيلهم، فاستراحوا إلى التكفير والتبديع مختلقين الأباطيل والأكاذيب .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على أفضل المصطفين محمد الذي ناله من الأذى ما لم ينل نبياً قبله فضلاً عن سائر البشر وعلى آله وصحبه الطيبين الذين جاهدوا الكفار والمنافقين وأرغموا أنوف الحاسدين .

تم الفراغ من كتابة هذه الرسالة في شعبان

الموافق ١٠/ ٨/ ١٤١٣هـ

القصيم ـ بريدة

بقلم/ الفقير إلى الله

سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان

فهرس الموضوعات

الموضع	الصفحة
المقدمة	٥
القرآن كله يبين التوحيد	٦
أول أمر في كتاب الله وأول نهي	٦
جميع الرسل يفتتحون دعوتهم لقومهم بالتوحيد	٨
لا إله إلا الله كلمة التوحيد	١١
وجوب إفراد الله بالعبودية	١٢
حال عباد القبور من أهل هذا الزمان	١٣
«فصل» في بيان أن التوحيد أساس الدين	١٥
حرص السلف على تحقيق التوحيد	١٥
كفر من زعم أن الأنبياء لم يحققوا التوحيد	١٥
كلما بعد الناس عن عهد النبوة كثر الجهل فيهم	١٦
حال علماء السوء	١٧
«فصل» في بيان أنواع التوحيد	١٩
تعريف توحيد الربوبية	١٩
لا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية في دخول العبد في الإسلام	١٩
النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد العبادة	٢٠
العبد مأمور بتوحيد الله والبراءة من كل معبود سوى الله	٢١
معنى حديث «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله .»	٢١
البراءة من كل معبود سوى الله قد أضيعت حقوقه في هذا الزمان	٢٢

- ومن أنواع العبادات التي أمر الله بها : الذبح ٢٣
- كثرة الذبح لغير الله في هذا الزمان ٢٣
- من أنواع العبادات : الدعاء ٢٤
- دعاء الله عبادة من أجل العبادات ٢٥
- طلب الحاجات من الموتى شرك أكبر ٢٦
- من عرف التوحيد علم أن مشركي زماننا أشد بكثير من شرك الذين نزل القرآن ببيان شركهم ٢٧
- من أنواع العبادات التي أمر الله بها التوكل ٢٨
- أعلى الناس مقاماً في التوحيد أكملهم توكّلاً ٢٨
- التوكل من الأعمال القلبية قاله أحمد ٢٨
- عمَّ الجهل في هذا الزمان بحقيقة التوكل ولم يعرف منه الكثير إلا الاسم ٢٩
- على حسب نقص توكل العبد على ربه ينقص توحيده ٢٩
- قال ابن القيم «لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده . إلخ ٣٠
- عدم التوكل على الرب سبب من أسباب الخذلان ٣١
- ومن أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله النذر ٣١
- النذر لغير الله شرك أكبر ٣١
- لا يجوز أكل ما ذبح لغير الله ٣١
- اتفق المسلمون على أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به ٣٢
- الراجح أن نذر المعصية تجب فيه الكفارة ٣٢
- ومن أنواع العبادة التي أمر الله بصرفها له الركوع والسجود ٣٣
- لا يراد بالركوع والسجود في شريعتنا إلا التعظيم ٣٣
- الانحناء مثل الركوع والسجود ٣٣
- رفع اليد عن الأكابر والرؤساء ٣٤
- ما أعزّ في هذا الزمان من يعمل بالحق ٣٥

□ الواجب على من عرف الحق واستبان له اتباعه	٣٦
□ الشرك نوعان	٣٧
□ الصحيح اندراج الشرك الخفي ضمن الأصغر	٣٧
□ الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة	٣٧
□ الإعراض عن تعلم أصل الدين سبب الوقوع في الشرك	٣٧
□ الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار	٣٨
□ قد يترقى الشرك الأصغر بصاحبه إلى الشرك الأكبر	٣٨
□ الحرص على تحقيق التوحيد ممًا يباعد المؤمن عن الشرك	٣٨
□ من أنواع الشرك الأصغر الحلف بغير الله والتفصيل في ذلك	٣٩
□ الحلق بغير الله مع الصدق أعظم إثماً من الحلف بالله مع الكذب	٤٠
□ تفنيد شبهة من استدل بالحلف بغير الله	٤١
□ الاستدلال بالمتشابه وترك المحكم من أفعال الذين في قلوبهم زيغ	٤١
□ من حلف بغير الله كفر ولو لم يقصد حقيقة القسم	٤٢
□ لا تثبت الخصوصية إلا على وفق دليل شرعي	٤٢
□ من أنواع الشرك الأصغر قول الرجل ما شاء الله وشئت	٤٣
□ ومن أنواع الشرك الأصغر طلب العلم لغير الله	٤٤
□ طلاَّب الدنيا بالدين مرضى مرض قلوب	٤٥
□ النوع الثالث من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات	٤٧
□ لا يدخل العبد في الإسلام حتى يؤمن بأسماء الله وصفاته	٤٧
□ كلام مفيد للعلامة ابن القيم في هذا الباب	٤٧
□ مذهب السلف في باب الأسماء والصفات	٤٨
□ خطر المفوض على العقيدة أعظم من خطر الجهمي	٤٨
□ حاشية تتضمن الرد على محمد الزرقاني صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن	٤٩

- رد زعمه أن الصفات من المتشابه ٤٩
- رد قوله أن ظواهر الصفات غير مرادة للشارع قطعاً ٤٩
- إبطال زعمه على أن الصفات لا تواجه بها العامة ٥١
- إبطال زعمه على أن الله لا يشار إليه بالإشارة الحسية ٥١
- رد ضلاله في إنكار العلو والاستواء ٥٢
- التحذير من كتابه مناهل العرفان ٥٣
- قال ابن القيم «تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات ٥٥
- أكثر المذاهب الضالة شيوعاً مذهب الأشاعرة ٥٧
- الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة ٥٧
- إبطال زعم من قال إن الأشاعرة من أهل السنة ٥٧
- لا يمكن التعارض بين النقل والعقل ٥٨
- العقل لا يستقل وحده أبداً بإثبات أصل أصول العقيدة والأحكام ٥٨
- الأشاعرة لا يثبتون لله إلا سبع صفات ٥٨
- فساد عقول الأشاعرة . . ٥٩
- الأشاعرة وغيره من أهل البدع يدعون النصوص الصريحة التي توجب العلم . . . ٥٩
- بعد مذهب الأشاعرة عن مذهب السلف أمر لا يخفى على طالب علم ٥٩
- التحذير من كتب الصابوني ٦٠
- الوقوف في نحور أهل البدع جهاد ٦٠
- «فصل» في خطورة علم الكلام ٦١
- اتفاق السلف على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات ٦٢
- علماء الكلام بداية أمرهم في ضلال . . . إلخ ٦٣
- ضل أكثر من خاض في علم الكلام ٦٤

◻ من أصول أهل السنة هجر أهل البدع	٦٤
◻ إبطال شبهة بعض المعاصرين	٦٤
◻ مجالسة أهل البدع محادة لله ورسوله	٦٥
◻ الحق لا يعرف بالرجال ولا بالكثرة	٦٧
◻ يجب تجريد المتابعة للنبي -ﷺ-	٦٧
◻ من جاء بالباطل رد عليه و إن كان محبوباً	٦٧
◻ الواقع لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً	٦٨
◻ الخاتمة	٦٩
◻ فهرس الموضوعات	٧١

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

كلمة مضيئة

بسم الله الرحمن الرحيم

على شبابنا الذين يتهيأون للدعوة إلى الله على بصيرة، والذين يسلحون أنفسهم بسلاح العلم والمعرفة استعداداً للعمل الإسلامي الواعي السلفي، عليهم:

أولاً: أن يجدُّوا في التحصيل وأن يكثروا في النظر في كتب السنة وكتب العقيدة ومباحث الإيمان، مع النظر في بعض فروع اللغة العربية.

ثانياً: عليهم أن يدرسوا سير العلماء المصلحين السلفيين قديماً وحديثاً لينحوا على منوالهم ويتأسوا بهم في أسلوب دعوتهم وصبرهم وعدم تأثرهم بالألقاب المنفرة التي يقصد بها أعداء الدعوة التشنيع وتنفير الناس من قبول دعوتهم.

ثالثاً: عليهم أن يبتعدوا عن الانتماء إلى جماعة معينة، أو حركة معينة تدَّعي العمل للإسلام فيما يبدو للناس ولها مقاصد أخرىٰ.

ولا ينبغي لطالب العلم أن ينصب نفسه داعية لتلك الحركات والجماعات على حسابهم وباسمها وتحت نظمها ولوائحها الخاصة، موافقة للسنة أو مخالفة، وهو لم ينضج بعد أو لم ينضج علمه وعقله، ومثل هذا الانتماء من العراقيل المعوقة في سبيل تحصيل العلم النافع الخالص لله وحده سبحانه وهي ـ الانتماءات ـ من الأمور التي تفسد القلوب وتقضي على معنى الحب في الله والبغض في الله، وهو معنى يجب أن يسود بين المسلمين.

رابعاً: فليجاهد طالب العلم نفسه ليحملها على الإخلاص لله ومراقبته، وعلى عدم التطلع إلى مدح الناس، والثناء عليه، والتماس رضاهم، لأن في ذلك غضب الله وسخطه بموافقتهم على ما هم عليه من البدع والخرافات بدعوى استعمال الحكمة كما يزعم بعض الناس وليس ذلك من الحكمة في شيء، لأن الحكمة باختصار شديد وضع اللين في موضعه ووضع الشدة في موضعها، ولا ينبغي أن يغيب عن بال طالب العلم والداعية أن الذي مَدْحه زين وذمّه شين هو الله وحده! وأما مدح المخلوق فلا ينفعك، وذمه لا يضرك فماذا أنت طالبٌ بمداهنتك وتملقك إذاً؟!

وعلى طلاب العلم في هذا العصر ـ وقد ظهر التساهل أو عدم المبالاة في مجالسة أهل البدع ومجاملتهم ـ أن يعيدوا النظر في موقفهم المتساهل الذي يدل على ضعف الغيرة وعدم المبالاة بالمنكر والبدع، عملاً بنصيحة إمام أهل السنة وقامع البدع الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ حيث قال ـ رضي الله عنه ـ: أن يختاروا لأنفسهم من يجلسون إليهم من الأساتذة والمشايخ الذين يرضون عقيدتهم وأخلاقهم وصدق تمسكِّهم للسنة ليطلبوا العلم على أيديهم. فليحذروا المبتدعة من أهل الكلام والمتصوفة ومن الروافض وغيرهم، خشية أن يتأثروا ببدعتهم، فتفسد عقيدتهم وهم لا يزالوا غيرنا ناضجين، ولا يختلف اثنان في أن للأستاذ تأثيراً ملموساً في تلميذه إذا لازمه مدة طويلة، وأقل ما يصاب به الطالب الذي يطلب العلم على أيدي المبتدعة أن تخرج من قلبه كراهة البدع والمعاصي والمخالفات، ويفقد واجب الحب في الله والبغض في الله. ولا يبالي جالس سنياً أو مبتدعاً، وإنما الحكم عنده لمصلحة الدعوة يدور معها حيث دارت. والله المستعان.

المنار